الاعتبار

بكشف مطايا الاستعمار

للعلامة المحقق

عبد الرحمن الوكيل

طيب الله ثراه

قدم لها، وعلق عليها

أبو عائش محمد سميح فاضل الشيخ

وفقه الله لمرضاته

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله, نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله, صلى الله عليه, وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فمع دورة جديدة من دورات رسالتان في يوم, وهي الدورة الرابعة عشرة يوم الخميس الثامن والعشرين من ربيع الآخر1438 من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، والرسالتان للعلامةِ عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما الرسالة الأولى فبعنوان: **مطايا الاستعمار**.

والثانية: **من شُرفات التاريخ**.

وصاحب الرسالتين هو العلامة المجاهد عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وُلدرَحِمَهُ ٱللَّهُ بمحافظة المنوفية سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مائة وألف من هجرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ, ونشأ نشأة علمية, فحفظ القُرآن والموطأ قبل الالتحاق بمعهد طنطا الأزهري, وكان هذا شرطًا في الالتحاق بهذا المعهد, وقضى في هذا المعهد تسع سنوات.

ثم تخرَّج بعد ذلك في كلية أصول الدين, ثم عمل مدرسًا للدين بالمدارس الثانوية بوزارة المعارف, و هي الآن وزارة التربية والتعليم.

سافر بعد ذلك للمملكة فدرَّس بالمعهد العلمي بالرياض وبكلية أصول الدين.

التقى بعد ذلك بالشيخ حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤسس جمعية أنصار السُنَّة, وكان نائبًا لثاني رئيس لهذه الجمعية وهو العلامة الشيخ: عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم انتُخب هو ثالث رئيس لهذه الجمعية, فهو الرئيس الثالثُ لجمعية أنصار السُنَّة, وذلك بعد أن سافر الشيخ عبد الرزاق للمملكة للتدريس.

وكان نائبه في هذا الوقت الشيخ محمد خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ العَلَم المعروف صاحب الشروحات السلفية القيمة.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مكة سنة تسعين وثلاث مائة وألف من هجرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وله كثير من المؤلفات والتحقيقات كلها في الدفاع عن دين الله والذب عن سُنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي تنقية هذا الدين مما علِق به من الشوائب من بدع الصوفية أو البهائية أو غير ذلك كما سيأتي ويتضح في هاتين الرسالتين.

أما الرسالة الأولى فهي مطايا الاستعمار, والاستعمار استفعال من الفعل استعمر استفعل, يقال: استعمر الأرض وعمرها, أي أمدها بما تحتاجه لتصلح وتعمُر, ومنه قول الله تعالى: ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: 61].

إلا أن المراد هاهنا: ما تقوم به الدول الأجنبية من احتلال بلدٍ ما بالسلاح والقهر, ومن إخضاعه لسلطانها السياسي والاقتصادي, فهو احتلال, ولكن كما

نعلم: كثير من المستشرقين والمستغربين يسمون الأشياء بغير أسمائها من أجل تجميلها, فيسمون هذا الخراب وهذا الاحتلال بالاستعمار، فلفظة الاستعمار من الألفاظ المظلومة.

وهذا الاحتلال الذي عمَّ كثيرًا من بلاد المسلمين يومًا ما قام بكثير من الحملات الوحشية, مرورًا بالحملات الصليبية التي هيجها بطرس الناسك بعد ستة قرون من سقوط الامبراطورية الرومانية على أيدي المسلمين, إلى احتلال كثير من دول العالم الإسلامي في القرن الماضي وإنشاء وطن لليهود عليهم لعائن الله المتتابعة.

وفي هذا يقول صموئيل زويمر وهو من كبار المستشرقين الأمريكيين ومن متعصبة المستشرقين الحاقدين على دين الله, يقول في وصف ما وصل إليه الاحتلال في بلاد المسلمين في كتابه الطفولة في العالم الإسلامي Childhood in The Muslim World:

"لقد فقد الاسلام اليوم سيطرته على أفريقيا كلها وكذلك أوروبا, وكذلك تُرفع قبضته اليوم عن آسيا, والتي كانت تقابله يعني آسيا, والتي كانت تقابل كل جُهد تبشيري موجه للمسلمين بالمنع والقمع, لقد فقد الإسلام سيفه اليوم."

ويقول أيمرسون واطسون في كتاب العالم المحمدي اليوم The Muhammedan World Today, وهو ممن شارك صموئيل زويمر في هذا الكتاب, يتكلم خاصة عن مصر في بيان ما وصل إليه هذا الاحتلال وهذا الاستعمار, يقول: "منذ الاحتلال البريطاني لمصر والحاكم الفعلي هو اللورد كرومر

مع معاونيه الموظفين البريطانيين, فهم مَن يخططون, وهم مَن يوجهون, وهم مَن يتحكمون في كل الدوائر الحكومية."

فهذا هو الاستعمار الذي حل بكثير من بلاد المسلمين.

والكاتب هاهنا قال: مطايا الاستعمار, فما المقصود بالمطايا؟

المطايا والمطي جمع مطية, والمطية من الدواب: ما يُركب ويُمتطى كالبعير والناقة, يقال: حماره مطيته في التنقل بين القُرى.

ومنه قول الشنفرة الأزدي في لامية العرب في أول بيت:

أقيموا بني أمي صدور مطيّكم فـإني إلى قـوم سـواكم لأميـلُ

***

ويقال: اتخذه مطية لبلوغ مآربه, أي جعله وسيلة, وهذا المعنى هو المراد هنا, فهي مطية خاصة, فالمصنف هاهنا أراد بيان دور الاستعمار في نشر البدع والخرافات عن طريق جعل بعض مَن يتكلم بلساننا من أبناء جلدتنا مطية لهم ووسيلة له يبلغ بها مآربه, يجنِّد أشخاصًا بأعيانهم, فِرقًا بعينها لتكون مطيةً لخراب بلاد المسلمين: علموا ذلك أو لم يعلموا.

إذًا هو هاهنا يقصد مطيّةً خاصة تنفِّذ خُطط هذا المحتل, وهذه المطايا عديدة فمنها:

- المستشرقون،
- والمنصرون،
- والتغريبيون،
- والمبتدعة الخرافيون.

من أبرز هؤلاء: دعاة التغريب الذين تأثروا بكتابات المستشرقين عن الإسلام, فصاروا يتكلمون بكلامهم يطعنون في ديننا, وفي موروثنا, ويريدون نقل كل ما عند الغرب إلينا لنقتدي به, يريدون منا أن نصبغ حياتنا بالصبغة الغربية. هذا أمر بدأ في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر، وقد كان من أبرز هؤلاء الدعاة: طه حسين؛ المعروف بعميد الأدب العربي.

فهذا الرجل أعني طه حسين الذي يُمجَّد على ألسنة كثير من الناس تلقى سمومه على يدي المستشرقين من أمثال دوركايم ومرجليوث فقد كان أستاذه, ثم بث هذه السموم في كتبه, ومن أشهر ما كتبه: "كتاب الشعر الجاهلي", وكتاب "مستقبل الثقافة في مصر.", فتراه مثلًا لا يؤمن بما جاء في القُرآن عن قصة بناء إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للبيت, ويقول: للقرآن أن يحدثنا عن ذلك, وليس واجبًا علينا أن نُصدِّق ذلك, يكذِّب صراحة بما جاء في القُرآن.

وهو في نفس الوقت يدعونا إلى أن نأخذ كل ما عند الحضارة الغربية, حتى النخامة التي يتنخمونها وما يخرج من أفواههم, يقول: ينبغي أن نأخذ كل ما جاء من الحضارةِ الغربية من خيرٍ ومن شر, فهذا من أشهر هؤلاء الدعاة.

ومنهم كذلك قاسم أمين, صاحب "كتاب تحرير المرأة", والذي أراد أن يحررها لا من نِير الوثنية أو الشرك بالله وإنما من العبودية لله, من ملابسها, من حيائها, من عفافها.

وكذلك علي عبد الرازق الذي ألف كتابًا سماه "الإسلام وأصول الحكم", وهذا الرجل لما ظهر أثار فتنة عظيمة, لأنه, أراد من خلال هذا الكتاب أن يبين أن الإسلام دين عبادة فقط لا علاقة له بسياسة الناس ولا بالدولة, أراد فصل الدين

عن الدولة، فرد عليه علماء عصره من الأزاهرة وغيرهم كالشيخ الخضر. حسين، والشيخ ابن عاشور، والشيخ محمد بخيت المطيعي

وغير هؤلاء كثير, فمنهم جمال الدين الأفغاني, ومحمد عبده, حتى قال الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه تاريخ الأستاذ الإمام يعني محمد عبده: وهو من أعضاء جمعية التأليف والتقريب التي تدعو لوحدة الأديان, فكان فيها أفراد من إيران ومن انجلترا, ومن اليهود, كان هو وجمال الدين الأفغاني من دعاة هذا الاتجاه.

وكل هؤلاء لو نظرت في حالهم لرأيتهم يدعون إلى تهوين عقيدة الولاء والبراء, وإلى التفتيش عما في دين الإسلام من النقائص والوحشية وغير ذلك- زعموا - وأن الناس سواء, يدعون إلى مذهب يسمونه بالمذهب الإنساني, ويزعمون أن هذا هو السبيل الوحيد لتجميع الناس دون معتقد ودون دين, وما أرادوا من ذلك إلا إذابة الهوية الإسلامية في هوية القوي المستعمر، بما أطلقوا عليه هذه الأيام البيت الإبراهيمي!!

نجد مثلًا في هذه الأيام رجلا يسمى مصطفى راشد, هذا الرجل يقول: إنه من خريجي جامعة الأزهر, وإنه تنصَّر, يُعلنها صراحة أنه صار نصرانيًا بعد أن كان مسلمًا.

يقول في إحدى اللقاءات: إنني أريد أن أُنظم رحلات للحج ولكن إلى أي مكان سيحج الناس؟ إلى جبل الطور في سيناء, يحجون إلى بيت المقدس, يحجون إلى بيت الله الحرام, فكله حج, والكل يعبدون إلهًا واحدًا, أرادوا بذلك طمس الهوية المسلمة تحت شعار ما أطلقوا عليه " البيت الإبراهيمي " في هذه الأيام.

وهو هو نفس الرجل يذهب إلى كنائس النصارى في أوروبا ويصلي بصلاتهم, يصلي بصلاتهم وبترانيمهم, ويقول نفس كلام القساوسة والنصارى, ثم بعد أن ينتهي يقول: نحن الآن في بيتٍ من بيوت الله المقدسة, ويأبى في لقاءٍ له أن يصف بيت الله الحرام بالبيت المقدس, يقول: لأنه لم يأت في كتاب الله وصفه بالبيت المقدس, فهو كسائر البيوت!!

يصف الكنيسة بالبيت المقدس ويأبى أن يصف بيت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأنه بيتٌ مقدس.

وكذلك من أمثال هؤلاء ومَن هم على شاكلتهم: إسلام بحيري الذي ليس له نصيبٌ من اسمه, كذلك إبراهيم عيسى, فهؤلاء يهاجمون الدين الإسلامي برموزه بالسب والشتم والطعن واتهامه بالوحشية ونشر الإرهاب, ولا يجرؤ الواحد من هؤلاء أن يتكلم عن الكتاب المقدس ولا عن الحملات الصليبية, مع أن الكتاب المقدس هذا مليء بالنصوص التي تدعو إلى الوحشية والقتل حتى ولو سالمك عدوك, والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما سمعنا بالأمس في حديث بريدة يقول: «فإن هم قَبِلوا منك ذلك فكُف عنهم».

أما هؤلاء ففي كتابهم أنهم إن قَبِلوا منك ذلك ، وقبلوا ما صالحتهم عليه فُخذ ما عندهم, وعليك بسبي نسائهم وأخذ ثرواتهم وغير ذلك.

ولا يجرؤ الواحد منهم أن يتكلم عن أي شيء جاء في هذه الكتب المحرفة.

وكذلك رجل يسمى بحامد عبد الصمد, وهذا الرجل معروفٌ جدًا عند النصارى, لأنه لا يتكلم إلا في نقد الدين الإسلامي, يقولون: إنه كان مسلمًا ثم ارتد, ولكنه أبقي على اسمه, خرج في هذه الثورة المشؤومة وقد ارتدى قميصاً؛ تي

شيرت مكتوب عليه: God is Busy, يعني الإله مشغول, يدعو إلى الإلحاد وإلى ترك دين الإسلام ولا يهاجم النصرانية ولا اليهودية ،لا يهاجم إلا الدين الإسلامي.

فكل هؤلاء من القدامى والمعاصرين تربوا على عين المحتل المخرب, وكانوا مطية للاستعمار لخراب بلاد المسلمين ونشر أفكار هؤلاء, وهم من أجهل الناس بدين الله و لغة العرب والأصول.

فهذا الذي ذكرت اسمه منذ قليل مصطفى راشد ، طُلب منه أن يقرأ من كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى, ما قرأ آيتين أو ثلاثة إلا وأخطأ كثيراً في ثلاث آياتٍ فقط من كتاب الله, وهو خرِّيج الجامعة الأزهرية كما يقول, نسأل الله العافية.

وصدق شيخنا لما قال: المستشرقون أشرف من هؤلاء, والله أشرف من هؤلاء: هؤلاء يطعنون بصورة لا تمُتُّ للعلم بصلة: لا عندهم لغة ولا أصول ولا قواعد يرجعون إليها, وإنما هو السب والقذفُ والشتم وغير ذلك.

وما أراد هؤلاء إلا أن يُزهِّدوا الناس في موروثهم الديني والثقافي, وفي نفس الوقت يُعلون من هذا النموذج الغربي, فهذه طريقتهم: يبدأ تعامله مع النصوص الشرعيةِ بالتشكيك.

هذا الرجل مصطفى راشد وهو من البلاء المبين: لا أكاد أراه إلا وأضحك لغلبة الجهل المركب عليه وكلهم كذلك. رجل كلما كلمه أحدٌ أو ناظره في حديث فيقول له: معك مخطوطة لهذا الحَدِيث؟ يذكر له قول عالم يقول له: معك مخطوطة بهذا القول؟ لا يدري ما يقول, يذكر له قول الألباني, يقول: ما شأننا والألباني؟

الألباني هذا منذ قرون!! يقول كذا في كتاب الحجاب: هذا منقول عن طلبته وتلامذته بعد موته من قرون, معك مخطوطة للألباني؟

وقرأ على كتاب البخاري هكذا: جَمَعه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري, فخرج هذا الأبله في حلقةٍ : هذا الكلام الذي يُطرح لكم أن جامع الكتاب هو الإمام البخاري هذا خطأ, وإنما الذي جمعه رجل يسمى جُمعة, فقرأ جَمَعه جُمعة محمد إسماعيل البخاري, فهذا مطية من مطايا الاستعمار في عصرنا الحاضر.

وأما المطية الثانية فهم أهل البدع والضلال من الخوارج والحزبيين والخرافيين, والشيخ ما كتب هذه الرسالة إلا من أجل بيان هذا الصنف الثالث, وهم الخرافيون, فهم مطية الاستعمار.

أما غيرهم من أهل البدع فلو نظرت في سبب ظهور كثير من فِرقهم لوجدت أن سببها اليهود والنصارى وأعداء دين الله: فالسبئية والقاديانية والبهائية والتيجانية والإخوان المسلمون والخوارج وغير هؤلاء لو نظرت في سبب نشأتهم لوجدت أن وراء ذلك الغرب ؛اليهود والنصارى.

فالسبئية مثلًا متى ظهرت؟ ظهرت في عهد الصحابة على يد عبد الله بن سبأ اليهودي, هذه السبئية خرجت من رحمها الرافضة والخوارج.

لماذا جاء عبد الله بن سبأ بهذه السبئية؟ ليُفسد دين الإسلام كما أفسد بولس اليهودي دين النصارى, كذلك القاديانية والتيجانية والبهائية ما ظهرت إلا على يد المستعمر أو المحتل الانجليزي في شرق آسيا وغيرها:

لو قرأت التاريخ، لوجدت أن المسلمين في هذا الوقت بدءوا في دعوة هؤلاء وبيان عقيدة الولاء والبراء وضرورة مجاهدة العدو، فظهرت القاديانية لأجل أن تدعو الناس إلى مسالمة العدو الإنجليزي وإلى إذابة عقيدة الولاء والبراء.

وكذلك الدواعش والقاعدة والإخوان المسلمون, كما قلنا: كل هؤلاء ظهروا على يد المخابرات الإنجليزية والأمريكية كما قال الشيخ أحمد شاكر وغيره من علماء المسلمين.

وأما في عصرنا الحاضر فمن المسئول عن هذا الربيع العبري؟ إنهم مطايا الاستعمار كذلك, وهذه سنة قديمة: فالذي خرَّب بلاد المسلمين الآن له أُسوة بمن خرَّب بلاد المسلمين في السابق, فمن الذي أدخل التتار إلى الخلافة العباسية؟ إنهم الروافض, ابن العلقمي الرافضي, ومَن الذي أدخل الربيع العبري إلى بلاد المسلمين؟ إنهم الإخوان المسلمون.

وإذا أردت أن تدلل على ذلك فانظر مَن الذي تولى الحكم في كثير من البلاد التي قامت فيها هذه الثورات؟ الذي قام بالثورة والذي حمل شُعلتها وأجج نارها وكان ينتقد ويرُد على كل مَن عارض هذه الثورة, فهم كذلك مطية من مطايا الاستعمار.

فلو نظرت فيمن قاد الثورة في مصر وفي تونس وفي ليبيا وفي سوريا وفي اليمن: مَن الذي قاد الثورة في كل هذه البلاد؟ إنهم الإخوان المسلمون.

ثم بعد ذلك يخرج أوباما ويصرِّح أمام الناس ويصرِّح غيره أنهم استخدموا هؤلاء كمطية في خراب بلاد المسلمين, وبالتالي خربت هذه البلاد, فأين جيوشها؟ وأين اقتصادها؟ وأين أمنُها؟ فكانوا مطية كذلك لهذا المستعمر.

وأما المطية الثالثة: فهم الخرافيون الصوفيون, وهذه المطية أو هؤلاء نشأوا في أول أمرهم على الزُهد والتقشف المبالغ فيه, قالوا أو زعموا أنهم يريدون التأسي بأهل الصُفة ، وليس ذلك بصحيح، بل نسبتهم تنتهي للبس الصوف، لا الصفاء، ولا أهل الصفة كما حقق ذلك جماعة من أهل العلم، ثم تأثروا بعد ذلك بالفلسفاتِ والوثنيات القدمية كالنصرانية في الرهبنة واليونانية والبوذية, واعتنقوا هذه العقائد الفاسدة, وتراهم يبحثون عن الهداية في غير الكتاب والسُنة, ويدندنون على أن علمهم يخالف علمنا, فعلمنا مأخوذ من الكتب, علمنا مأخوذ عن ميت, وأما علمهم فمأخوذ عن الحي الذي لا يموت, علم لدني كما يزعمون.

ثم يتدرجون كذلك في مراتب: حتى إذا وصل الواحد منهم إلى مرتبة الولاية والتي هي الزندقة في الحقيقة سقط التكليف عنه: فلا صلاة ولا حج ولا عبادة ولا غير ذلك.

ترى عندهم كذلك غُلواً في رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وفي الأولياء والمقبورين, حتى ألَّهوهم وصرفوا ما لله من عبادةٍ لهم، وكل ذلك سيأتي في هذه الرسالة.

وللأسف الشديد يتزعم هذه المطية في هذه الأيام وهذه الطريقة في هذه الأيام أكبر مؤسسة إسلامية في العالم العربي والإسلامي وهي مؤسسة الأزهر, فالقائمون عليها خرافيون مبتدعة في الاعتقاد, جمعوا بين بلاء الخرافة وبلاء البدعة في المعتقد.

ومن عجيب ما سمعنا في الأسبوع الماضي: ما حدث لطالب ماجيستير في الجامعة الأزهرية، قدَّم رسالة للماجيستير في عقيدة الإمام الحافظ السلفي ابن

منده. ظلوا يناقشون الرسالة من العاشرة صباحًا إلى العشاء, ثم رُفضت الرسالة بالإجماع لأنها تخالف منهج أبي الحسن الأشعري, وتدعو إلى التجسيد زعموا.

والشيء بالشيء يُذكر: في رسالة أخرى للشيخ عبد الرحمن الوكيل يهاجم هؤلاء الذين يتعصبون لأبي الحسن الأشعري في المعتقد, يقول فيها: وتعالى معي نسمع حديث المسلمين في العقيدة هنا في مصر وفي الأزهر, وتسمع: نحن أشعريون في العقيدة, أعني أتباع الأشعري في عقيدته, وهناك في أمة أخرى تسمع غير ذلك, وتسأل أنت: مَن أبو الحسن الأشعري؟ أرسولٌ يجب الاقتداء به؟ أصحابي قد تُعذر باتباعه؟ أرجل جعل الكتاب والسنة حُجته؟ أم مَن هو الأشعري ومَن يكون؟

أجاب عن هذا السؤال العلامة المقبلي في كتابه العَلَم الشَامِخ, هكذا يقول: يقول العلامة المقبلي: أما الأشعري فأين أثره الصالح في الكتاب والسنة الذي انتفع به منتفع, واهتدى به متبع؟

إنما جاء منه هذه الأنظار الشائنة لهؤلاء الكهنة لمَّا قدموه على نفوسهم وآثروه على فطرة الله التي فطر الناس عليها, فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فطر الناس على هذا المعتقد الصحيح, فطرَهم على أن الله في السماء، أنَّ له الكمالات في الأسماء والصفات والذات سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

يقول: هذا بينما يجعل ابن السُبكي وتابعه القاضي زكريا في اللُباب أن من العقائد ما ينفع عِلمه ولا يضر جهله, وجعل من القسم الأول: أن يعلم المسلم أن الأشعري إمام مقدَّم في السُنَّة, يقول: فيا ويل مَن تقدم الأشعري, ويا ويحك يا عمر ذهبت إلى ربك ولم تعلم بذلك, يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هذه الكتب الأشعرية تُدرس الآن في الأزهر على أنها تمثل عقيدة أهل السُنَّة والجماعة، على أنها هي التي يجب أن يمتلئ بها القلب لينجو صاحبها من نار الخلود.

ولو أنك تصفحت هذه الكتب لهالك ما فيها من وثنية, ولهالك ما تبثه من مجوسية, لهالك أن ترى فيها كل شيء إلا العقيدة الصحيحة.

وهكذا يُخرِّج الأزهر علماءه لهداية الأمة, ونحن لو تأملنا كُتب الأشاعرة وامتحنا على ما فيها عقائد المسلمين الصحيحة لوجدنا أن كتب الأشاعرة تحكم عليها بالزيغ والإلحاد يعني على عقائد المسلمين.

واسمع ما يأتي في كتاب المقاصد، وهو من أهم كتب الأشاعرة, يقول فيه الغزالي: أثبت المتكلمون أن أجزاء الجسم هي الجواهر المفردة, وأنها متماثلة لا يتصور فيها اختلاف، ليثبتوا أن الأجسام متحدة بالحقيقة، وإنما الاختلاف بالعوارض، وهذا أصل ينبني عليه كثير من قواعد الإسلام: كإثبات القادر المختار، وكثير من أحوال النبوة والمعاد.

يقول: تأمل أيها القارئ الكريم: كيف يؤكد الأشاعرة أنه لا بد من هذه النظرية نظرية الجوهر الفرد أو الذرة أو الجزء الذي لا يتجزأ وكلها بمعنى واحد, لا بُد من هذه النظرية الفلسفية لكي تَثبت كثيرٌ من أصول الإسلام, لولا نظرية الجوهر الفرد ما ثبت وجود الله القادر المختار ولا ثبتت نبوات ولا ثبت يوم القيامة.

يا ترى كم من المسلمين بل حتى من العلماء الأزهريين يفقهون حقيقة هذه النظرية التي بدونها لا يثبت الإسلام؟ أكان يعرفها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

كلا, وإلا لبينها ليُثبت لنا بها القادر المختار, وأنه نبي, وأن هناك قيامة, أعرَفها عُمر؟ أعَرفها ابن حنبل؟ أعرفها مالك؟ أعرفها البخاري, وأكتفي بهذا.

وللقارئ الكريم أن يتصور إلى أي مدى بلغنا في حُسن الاعتقاد نحن الأمم الإسلامية هذه النظرية الفلسفية ما ابتدعها الأشاعرة وإنما سرقوها سرقة ظاهرة من فيلسوفٍ يوناني قبل سقراط اسمه ديمقريطس, كان يُنكر أن للإله تأثيرًا في الخلق فاخترع هذه النظرية ليُثبت أن العالم خُلق صدفة.

فهذا ما يقوم عليه معتقد الأشاعرة, وهم من المبتدعة, وهم مطية الاستعمار في تخريب عقائد المسلمين.

بل أخٌ لنا أخبرني أنه كان كلما دخل محاضرة لأحد الدكاترة، يقول: إن كان في المحاضرة تيميٌّ – نسبة إلى ابن تيمية رحمه الله–فليخرج, وليُغسل مكانه سبع مرات إحداهن بالتراب.

وهو أعمى البصر والبصيرة, نسأل الله العافية, ونسأل الله أن يهديهُ.

فهذه كذلك مطية من مطايا الاستعمار أهل البدع, فمطايا الاستعمار كثيرة: التغريبيون وهم مَن يُسمون في هذه الأيام بالتنويرين أو العقلانيين, وكذلك أهل البدع والضلال من الخرافيين والأشاعرة والمعتزلة وغيرهم.

أما المطية التي قصدها المصنف في هذا الكتاب فهم الخرافيون, فيقول في هذه الرسالة:

مطايا الاستعمار

نشرت الجمهورية –أي جريدة الجمهورية– في عددها الصادر بتاريخ تسع وعشرين من شهر ديسمبر سنة ثلاثة وخمسين وتسع مائة وألف من التقويم الصليبي, نشرت ما يأتي نقلًا عن صحيفة التايمز اللندنية, وهذا يبين لنا دراية المصنف بفقه الواقع, وكذلك كل علماء السُنَّة يعلمون ما يدور حولهم من كيد لأمة الإسلام, وهكذا كان نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, ففي هجرة المسلمين للحبشة ماذا قال للمسلمين؟

قال: «اذهبوا إلى الحبشة فإن فيها مَلِكًا لا يُظلم عنده أحد», فكان يعلم ما يقع حول بلاد الإسلام.

وابن عباس رضي الله عنهما يذكر في حديث تطليق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لزوجاته: أنَّ الرجل الأنصاري الذي كان يتناوب النزول مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لسماع حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, لـمَّا جاء ذات يومٍ وطرق الباب على عمر طرقًا شديدًا, لما فتح عمر الباب ماذا قال؟

قال: أجاءت غسان؟ –يعني الأعداء لقتال المسلمين؟– أجاءت غسَّانُ؟ فهذا يدل على عناية أهل السُنَّة والجماعة بفقه الواقع, وأنهم من أعلم الناس بفقه الواقع, وما يجب أن يُفعل في هذا الواقع لأنهم أعلم الناس بكتاب الله وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول: جاء في هذه الصحيفة: يتقدَّمُ الإسلامُ بخُطى سريعةٍ في غرب أفريقيا, حتى أن بعثات التبشير والأوربيين على السواء ليُبدون قلقًا شديدًا مما قد يترتب على انتشار الإسلام في المنطقة كلها, وكان الاعتقاد قديمًا أن الإسلام هو دين شعوب الصحراء, وقد يتجه نحو الحضر, وما كان أحدٌ يصدِّق أنه يستطيع اختراقَ المناطق الاستوائية, وأن يصل إلى الجنوب كما حصل في سيراليون والساحل العاجي -وهي دولة كوت ديفوار الآن-, وساحل الذهب وهي دولة غانا الآن, ولاهومي وهي جمهورية بلين, فهذه أسماؤها القديمة.

يقول: ما كان أحدٌ, هذا كلام الجريدة النصرانية على لسان هؤلاء الذين يفتشون في أحوال العالم الإسلامي ويعرفون ما يدور فيه, وما كان أحدٌ ليصدِّق أنه -يعني الإسلام- يستطيع اختراق المناطق الاستوائية, وأن يصل إلى الجنوب كما حدث في سيرليون والساحل العاجي وساحل الذهب ولاهومي, ويخشى رجال الإدارة يعني الإدارة الغربية على الأخص من انتشار الإسلام في هذه البقاع, يتبعه اتصالات بالقاهرة وبالعالم العربي, فالقاهرة خاصة محط أنظار الغرب دائمًا, لأنها قلب العالم الإسلامي, وإذا سقطت القاهرة سقط العالم الإسلامي.

ولذلك مِن حفظ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومن تقديره الكوني القدري أن كل محاولة للنيل من العالم الإسلامي تتحطم على صَخرةِ القاهرة.

لو نظرت في حال التتار والصليبيين واليهود كل هؤلاء ما حُطِّموا إلا على صخرة الجيش المصري، على صخرة القاهرة.

ولذلك كان المستشرقون يعقدون في القاهرة مؤتمراتهم: زويمر عقد أكثر من مؤتمر في القاهرة في بيت أحمد عرابي, في بيته عقد مؤتمر القاهرة سنة ألف وتسع مائة وستة, فكانوا يعقدون المؤتمرات في القاهرة.

لماذا؟ لأنهم يعلمون أن القاهرة هي قلب العالم الإسلامي, يخشون من اتصال هذه البقاع إن أسلمت بالقاهرة.

قال: ويختلف المفكرون الغربيون في اتجاههم الفكري نحو مستقبل الإسلام في أفريقيا:

أي كيف نعالج هذا الذي يحدث في أفريقيا؟

فمن قائل: إن تقدم الإسلام لن يضر. بالمصالح الاستعمارية ما دام يسير في الخطوط التي رسمها له المستعمر, فالمستعمر يرسم خطوطًا وهناك مَن ينفِّذها من أبناء جلدتنا.

بينما يرى آخرون ضرورة الحد من تقدم الإسلام عن طريق نشر البدع والخرافات.

وهذا بلسان المستعمر يُبين لنا أن البدعَ والخرافات ليست من دين الإسلام, وأنها إن انتشرت بين المسلمين فلن تقوم لهم قائمة بعد ذلك ولن يُمكَّن لهم.

المستعمر يعرف أكثر مما يعرف بعض أبناء جلدتنا ممن يسعون ليل نهار في نشر البدع والخرافات من الأذكار والأورادِ والاحتفالات والغلو في الأضرحة، وصرف العبادة لها،وغير ذلك.

يقول: حتى يكون هذا بمثابة حائلٍ يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد.

قال الشيخ معلقًا: أرأيتم أيها المسلمون، تدبروا هذا النذير, لعلكم تعرفون من أين أُوتيتم ومن أين تؤتون, هكذا أفصح الاستعمار الوثني عن الحقد الموَّار.

والشيخ يكتب بأسلوب أدبي ماتع, فهو من الأدباء, يقول: هكذا أفصح الاستعمار الوثني عن الحقد الموار, يعني الثائر في الصدور, هكذا أفصح الاستعمار الوثني عن الحقد الموار في صدره وكشف عما يكيد به لهذا الدين السماوي الحق دين التوحيد الخالص والإيمان القوي المجاهد, والعدالة المطلقة والأخوة البارة والرحمة الوريثة الودودة.

وريث فعيل بمعنى فاعل وارث, وهو الممتد الواسع, فالرحمة الوريثة يعني الرحمة الممتدة الواسعة, والحُب الصادق النبيل, والسلام العطوف والمساواة الحقة السمحاء, هكذا هُتكت عن وجه الاستعمار قِناعه السحري الخلوب.

الخلوب: الكذاب المخادع, فماذا ترون أيها المسلمون؟ هكذا أيدت تلك الصحيفة البرهان المُشرق والحجة البالغة وطالما كذبتم بهما على أن البدعة سمٌ استعماري, سمٌ زعاف, سمٌ قتال في حينه, ولكن يحسبها عبيده رحيقًا من خمرة الحُب.

يحسبها عبيده: يعني عبيد الاستعمار ومطايا الاستعمار يحسبونها رحيقًا من خمرة الحُب, وشهدًا يرُف من كأسه عبير الخلود, يرُف أي ينتشر, ينتشر من كأسه عبير الخلود.

أيدت هذه الصحيفة أن الخرافة نصلٌ استعماري مُرهفٌ يصيب به كبد الأمة الإسلامية, والنصل هو حديدة الرمح والسهم والسكين, على حين يظنها عُبَّادُه أنامل الرحمة تكسو منه الجراح.

أي تعالج وتصلح, وي: وهو اسم فعل مضارع بمعنى أتوجع, أو كلمة تعجب.

يقول: وي, وي, أيها الشاردون في تيه البدع التائهون في مجاهل الأساطير, الجاعلون من الخرافات أربابًا لكم وآلهة, وي, وي: أحلاس القبور: يعني يا أحلاس القبور, والحِلس هو ما يلي ظهر الدابة مما لا يُفارقها.

والمراد هاهنا: أن الخرافيين لا يفارقون القبور كما لا يفارق الحِلس ظهر الدابة, فعبادتهم دائمًا عند القبر.

يقول: أحلاس القبور, و يا عبيد الرِّمم وأُسارى العبودية الذليلة للأصنام, وسَدنة الهوان, والسدنة جمع سادن وهم الخدم, وسدنة الهوان الوضيع للطواغيت.

يعني هذه الأصنام وهذه القبور التي تُعبد من دون الله, وي يا حملة القماقم: جمع قُمقم, وهو المبخرة.

يا حملة القماقم وحارقي البخور في هياكل النُصب, وحملة المشاعر الرعناء في ركاب المجوسية.

والرعناء: الحمقى, والمذكر أرعن, والمؤنث رعناء.

ويا حملة المشاعر الرعناء في ركاب المجوسية, ويا أحبار البدع وكُهَّان التصوف, هكذا أبى الله إلا أن تفضحكم هذه التي استعبدتكم من قبل.

فصحيفة الاستعمار هي التي فضحتكم وكشفت أمركم, وتستعبدكم الآن, وتلهب ظهوركم الذليلة بسياطها الملهبة لترفعوا نعالها فوق هام أربابكم, ولتبنوا في أدناسها قباب آلهتكم, وتضمِّخوا بنتنها الخبيث مجالس الذكر لأصنامكم.

تضمخوا يعني تلطخوا.

ويْ، كيف أذِن سيدكم المستعمر لهذه البغي الهلوك أن تفضح رواد حمأتها؟ ويقصد بهذه البغي الصحيفة صحيفة التايمز, كيف أذن سيدكم المستعمر لهذه البغي الهلوك, والبغي الهلوك هي المرأة الساقطة, الهلوك بمعنى الساقطة, أن تفضح رواد حمأتها, والحمأة هو الوحل الأسود المنتن.

وأن تفضح مَن لطَّخوا إنسانيتهم برغتها, وهو الوحل الكثير, وراحوا يعبدون ربًا صُنع في مواخيرها, والمواخير جمع ماخور وهو بيت الفساد ومجمع أهل الفسق.

لِمَ لَمْ تجأر بَراعتكم إلى هذه البغي الانجليزية وتخشى عبوديتكم على أعتابها هامسة في ذُل, ويلاه منك يا ربتاه؟!!

يقول: لماذا لم تضرعوا لهذه البغي حتى لا تكشف أمركم؟

يقول على لسانهم: أهكذا هُنَّا عليك أيتها الربة المقدسة الأستار؟ ولكن كيف يستطيع العبد أن يهمس بشكواه لربةٍ دان لها بالذل المطبق, في حين عوى أولئك عواءً آثم الضجيج على محطة الإذاعة, أتدري لماذا؟

لأنها طيَّبت الأذان بعبير الوحل, فانبعث منها في صدق الضراعة: الله أكبر, لعله يعني واقعةً حدثت في عصره من نكرانٍ لإعلان الأذان في محطة أو إذاعة أو غير ذلك.

هاجوا من أجل منع هذا الأمر, وهذا تجد له صورة في وقتنا وهو الذي قام به أحد دعاة الأزهر أيضًا وهو من دعاة التغريب, وهو المدعو خالد الجندي, وصاحب قناة أزهري, هذا الرجل لمَّا أصدر اليهود قرارًا بمنع الأذان في القدس ماذا صنع؟

خرج على قناته يشبِّه صوت المؤذنين في المكبرات بصوت الحمار عياذًا بالله, ويقول: إن هذا الأذان في المكبرات يُزعج النصارى: هناك مَن يذاكر, هناك شركاء معنا في الوطن من النصارى.

ووالله إن النصراني لا يقول بمثل هذا الجُرم الذي يقول به هذا الذي هو مسلم, النصراني ما دعا يومًا إلى منع الأذان في مكبرات الصوت.

بل بالأمس كنت أصور هذه الورقات عند رجلٍ نصراني ما وجدت غيره, فقلت له: آتي لك بعد الصلاة, قال: اذهب إلى الصلاة فالصلاة أهم من أي شيء, يقول هكذا: دعنا من اعتقاده أو ماذا يُضمر الآن.

وتجد من أبناء جلدتنا مَن يقع منهم من الكلام ما قد لا يتفوه به واحد من النصارى أو من اليهود, نسأل الله العافية.

يقول: فانظر إلى هؤلاء كيف يسعون في منع الأذان وهم في نفس الوقت ينشئون وينشرون بين الناس كل بدعة كما سيأتي.

يقول: مساكين هؤلاء لا ينسون للمستعمر أبدًا الإخلاص الذليل له, فهبوا سراعًا وجلين, لأن الحق في الأذان أو من الأذان جلجل يعني عظيم, يحيي سنةً ويميت بدعة, فكيف يسكتون؟

كيف يرضخون للسُنة يحييها رجلٌ رشيد بصير, لا لا, فإن السيد المستعمر ما باركهم, بل ما استذلهَّم إلا ليعلنوها حربًا شعواء على كل سُنة نبوية مطهرة, وليقيموها مواطن للرقص العربيد والمجانة الغوية احتفاءً بكل بدعة.

فتجد المستعمر يسعى في نشر هذه البدع وإماتة كل سُنة, ولو أردت شاهدًا على ذلك انظر إلى هذه الجمهوريات الإسلامية في شرق آسيا في روسيا وغيرها.

هذه الجمهوريات من عشر سنوات أو خمس عشرة سنة سعت في نوال حريتها لأنها جمهوريات مسلمة, انتفضت ضد العدو الروسي.

ماذا يصنع هؤلاء؟ كيف يُوقفون هذا الزحف الإسلامي؟ جاءوا بأناس يدينون لله بالخرافة والصوفية وجعلوهم ولاة الأمور, وسعوا في نشر القِباب ونشر البدع وغير ذلك, وأنت تجد ذلك واضحًا في هذا المؤتمر الأخير مؤتمر الشيشان.

ما الذي حدث في مؤتمر الشيشان؟ جمَّعوا الصوفية من جميع بقاع الأرض, على عينِ مَن؟ بوتين رئيس روسيا, من أجل ماذا؟ هل من أجل نصرة الإسلام؟ من أجل إعلاء الكتاب والسنة؟ لا والله, بل من أجل محاربة أهل السُنَّة.

فأدخلوا جميع أهل البدع في الإسلام وأخرجوا أهل السُنَّة, هذا من جانب.

وعلى الجانب الآخر يتحالف مع الروافض من أجل قتل إخواننا في سوريا وفي حلب, فتجد هؤلاء أعني المحتلين أعني المستعمر يسعى في نشر هذه البدع وفي اتخاذها مطية من أجل القضاء على الإسلام وتشويه صورة الإسلام.

يقول الشيخ الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد خلق المستعمر القديم هذه التقاليد الجاهلية, ثم جلَّاها عروسًا متهالكة الأنوثة مبذولة الإثم لكل راغب, فهلك بها مَن هلك, وقال عُبَّادها: هذه هي حقيقة الإشراق الأعلى من الروحية في الإسلام.

ومَن قال ذلك قومٌ ظنهم المسلمون حُجة الإسلام, والشيخ الأكبر, وسلطان العاشقين, والهيكل الصمداني, والقُطب الرباني.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان متخصصًا في الرد على الصوفية, فيعلم معنى هذه الألقاب, وإلام ترمي هذه الألقاب, كلها ألقاب للصوفية على مختلفِ طبقاتهم ومراتبهم، وفيها من الغلو ما فيها.

قال: وتلقفها المستعمر الجديد انجليزيًا, أمريكيًا, شيوعيًا, صهيونيًا, ثم راح يزيدها فتنة خلوبًا, أي فتنة كاذبة مخادعة, وتقتلًا يعني تذللًا وتزينًا, وتقتلًا في باحة الغواية فاتنًا, يعني في ساحة الغواية.

فهفا إليه من المسلمين أحبارٌ وكهان وزعماء, وبيد هؤلاء خنق الاستعمارُ البغيض العالمَ الإسلامي كله.

إن ما يفكر فيه عدو الإسلام حديثًا عين ما فكر فيه عدو الإسلام قديمًا, وما نشرته التايمز هو بعينه ما سُطِّر قديمًا عن وسائل حرب الإسلام.

وإليك ما يقوله ابن حزم في كتابه الفَصْل, وكثير من الباحثين يضبطها الفِصَل في الملل والنحل, والصحيح أنها الفَصلُ, قال بذلك بعض علمائنا, وقال بذلك بعض الباحثين في رسالة له للماجيستير بعنوان: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان, وممن قال بذلك أستاذنا الدكتور عبد الراضي عبد المحسن بدار العلوم, فعنوان كتابه: الفَصل في المِلل والنِّحل.

قال ابن حزم في كتابه: لَمَّا امتُحِنوا: يقصد الفرس, بِزَوَال الدولة عَنْهُم على أَيدي الْعَرَب, تعاظمهم الْأَمر وتضاعفت لديهم الْمُصِيبَة وراموا كيد الْإِسْلَام, ورَأَوْا أَن كَيده على الْحِيلَة أنجع: يعني أنفع, فأظهر قوم مِنْهُم الْإِسْلَام واستمالوا أهل التشيع بِإِظْهَار محبَّة أهل بَيت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم, ثمَّ سلكوا بهم مسالك شَتَّى حَتَّى أخرجوهم عَن الْإِسْلَام, مثل القَوْل بالحلول:

القول بالحلول يُقصد به اتحاد الاثنين اتحادًا تامًا, حلَّ أحدهما في الآخر, بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارةً إلى الآخَر, وهو عند الصوفية: حلول الله ووجوده في كل شيء, وقولهم أسوأ من قول النصارى, لأن النصارى يقولون بأن الله حَلَّ في عيسى, أما هؤلاء يقولون: بأن الله حل في كل شيء في كل مخلوق.

حتى قال ابن عربي النكرة:

لقد صار قلبي قابلًا كلَّ صورةٍ فمرعى لغزلانٍ وديرٌ لرهبانِ
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبة طائفٍ وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ

***

يريد بذلك أن مَن يعبد الله كمن يعبد الحجر, كمن يعبد الصنم, وأن مَن صلى في الكنيسة لعيسى كمن صلى في المسجد لله, كلهم سواءً, لأن كل هؤلاء يعبدون الله, لأن الله حل في كل هذه الصور عليهم من الله ما يستحقون.

ومن هؤلاء كذلك الحلاَّج, فقد كان يقول: سبحاني سبحاني, ما في الجُبة إلا الله!! عياذً بالله, يعني ما في الجبة التي يلبسها إلا الله, يقول: سبحاني سبحاني.

وكذلك ابن الفارض والتلمساني فكل هؤلاء يقولون بالحلول, ويقولون بنبوة مَن ادَّعوا له النبوة, وبسقوط الشرائع.

ويقول المقريزي في الخُطط: إن الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسها, بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد, وكانوا يقدِّرون سائر الناس عبيدًا لهم, فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم إلى أيدي العرب, وكانت العرب عند الفرس أقل الأمم خطرًا تعاظَمهم الأمر, وتضاعفت لديهم المصيبة, وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى, ثم رأوا أن كيده على الحيلة أنجع, كالحملات الصليبية:

فإن الحملات الصليبية لمَّا فشلت لجؤوا إلى الاستشراق وإلى البحث في كتب المسلمين والتفتيش فيها, من أجل أخذ ما عندهم من صور التقدم ثم نشر. بعد ذلك ما يتسبب في زعزعة عقيدة المسلم.

قال المقريزي: ثم رأوا أن كيده على الحيلة أنجع, فأظهر قومٌ منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة بيت الرسول, ثم سلكوا بهم مسالك شتى, حتى أخرجوهم عن طريق الهدي.

ويقول صاحب المواقف عن طائفة الغيارية: هم طائفة من المجوس, راموا عند شوكة الإسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم, فأولوا الشرائع, وأسقطوا جميع التكاليف, فكُفرهم أشد من كُفر اليهود والنصارى, لأن هؤلاء آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض, أما هؤلاء فكفروا بكل الكتاب, بجميع ما جاء به الأنبياءُ والرُسل, نسأل الله العافية.

قال: راموا تأويل الشرائع عند شوكة الإسلام على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم.

يقول: ويعلق شارحه على هذا بقوله: وذلك أنهم اجتمعوا فتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من المُلك وقالوا لنا: لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستلائهم على المالك, لكننا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا, ونستدرج به الضعفاء منهم, فإن ذلك يوجِب اختلافهم واضطراب كلمتهم.

يقول الشيخ الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اقرأ أيها المسلم الحق هذا, واقرأ ما كتبته التايمز الانجليزية لتدرك معنى قول الله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: 53].

نعم تواصى عدو الإسلامِ قديمًا وعدوه حديثًا على هذا النوع من الكيد للإسلام, فكان قناعه بل كان مطيته إلى هذا ذلك الكفر الخبيث الذي سموه إسلامًا, والإسلام منه بريئ, ترى هل يفهم المسلمون؟, ولكن كيف وجُلُّهم ضحايا, وفي كل بيت وقلبٍ ودينٍ منهم مأساةُ دامية؟!!

يقول: لكننا لن نيأس بفضل الله وقوته, فإما قضى علينا بغي هؤلاء وإما قضينا عليهم بالحق من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ, ومن الله وحده نستمد المعونة والقوة والرعاية, والله غالب على أمره.

انتهت هذه الرسالة, وبقي أمرٌ مهم:

كيف نواجه هذه المطايا التي استغلها الاستعمار أو الاحتلال وجعلها سبيلًا لقهر أمم الإسلام قديمًا وحديثًا؟

فإننا لو نظرنا في ديار المسلمين وفي بلاد المسلمين في هذه الأيام نجد هذه المطايا منتشرةً بين الناس, بعض الناس يصدِّق ما يجيء به التغريبيون وبعضهم وكثير منهم يصدِّق ما يجيء به الخرافيون, وكثير منهم كذلك يصدِّق ما يجيء به أهل البدع والضلال.

فالسبيل في مواجهة ذلك:

- أن ننشر العقيدة الصحيحة بين الناس, أن ننشر عقيدة مأخوذة من كتاب الله وسُنة النبي ﷺ, لأن هذه العقيدة هي التي توافق فِطر الناس التي فطر الله الناسَ عليها, ولولا ما أصاب الناس أو بعض الناس من أفراد هذه الأمة من خُلو من العقيدة الصحيحة لَمَا انتشرت هذه العقائد الباطلة, فإن نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

وبالتالي الواجب علينا عباد الله: أن ننشر هذه العقيدة, أن ننشرها في دروسنا, وبكتبنا, وبكلامنا مع الناس, أن نجادل هؤلاء ونبين للناس خطئهم, ببيان توحيد الله بأنواعه, وببيان أركان الإيمان والإسلام, وأن هذا هو الذي جاء في كتاب الله وفي سُنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا هو الذي ينبغي أن يُستمد منه هذا الدين, وببيان مكانة الكتاب والسنة.

- كذلك بيان فضل علماء هذه الأمة, لأن ديدن هؤلاء الطعن في علماء هذه الأمة, بل منهم أصحاب لحى ويطعنون في علماء وسادة هذه الأمة, لا أتكلم عن الخوارج, ولكن رجلٌ يتكلم بلسان أهل السُنَّة والجماعة, رجلٌ في هذه الأيام يقبع في المسجد الأقصا يسمى بصلاح الدين بن عرفة, لحيته عظيمة ويؤصِّل في بداية كلامه أصولًا لا يخالفها أهل السُنَّة والجماعة, ثم يأتي على كل آية وكل حديث يقول: ما معنى هذا الحَدِيث؟ لا تذهب تقول لي: قال العالم كذا, دعك من هؤلاء العلماء, ولكن تدبر أنت, أنزل الله القُرآن ليُتدبر, وكذلك جاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسنة لكي تُدبر, فيطعن في علماء هذه الأمة، ويضع السم في العسل.
- كذلك نواجه هذه المطايا بالقضاء على المظاهر التي تكون سببًا في انتشار هذه الأفكار:

▪ القضاء على القِباب, والمساجد التي بُنيت على القبور, وتعظيم الأشجار والأحجار.

▪ القضاء على هذه الكتب التي تنشر هذه الأفكار, ومنع وصولها إلى الناس, لأن هذه الأمور تؤدي إلى الإفراط والتفريط, تؤدي إلى الغلو في الأنبياء والصالحين, وتؤدي إلى التفريط في الكتاب والسنة ومكانة علماء هذه الأمة.

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هدم مسجد الضرار, وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول لأبي الهياج: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ألا تدع قبرًا مُشرفًا إلا سويته, وكذلك العلماء المُقتدى بهم والمُهتدى بهم.

يقول الإمام أبو بكر الطرطوشي: انظروا رحمكم الله أينما وجدتم سِدرةً أو شجرةً يقصدها الناس ويعظِّمونها ويرجون البرء والشفاء من قِبَلِها, ويضربون بها المسامير والخِرق: فهي ذات أنواط فاقطعوها.

نقله ابن القيم في إغاثة اللهفان عنه.

فينبغي لنا أن نقضي على كل المظاهر التي تؤدي لانتشار فكر هذه المطايا, سواءً إذا كانت في التلفاز نُحذِّر الناس من برامجهم.

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذرنا من أهل الضلال: «مَن سمع منكم بخروج الدَّجال فلينأ عنه ما استطاع», نحذِّر الناس من كُتبهم, إذا جاءك رجلٌ من هؤلاء بشُبهة من شبهاتهم إما أن تُحيله على عالم وإما أن ترد عليه هذه الشُبهة وأن تبين له الحق في ذلك.

وكذلك في منع كتب هؤلاء كما قلنا, فالصوفية لهم كُتب, والتغريبيون لهم كتب, لئلا يتداولها الناس فنحذِّر منها من الكتاب ونحذِّر من هؤلاء الأشخاص, وندرس هذه الكتب إن كنا أصحاب ملكَة وحصانة, فمن كانت عنده ملكة وحصانة في بيان شُبهات هؤلاء وفضح هؤلاء واجب عليه أن ينشر هذا الرد بين

الناس على المنابر وفي مواقع التواصل الاجتماعي وبين الناس في العمل وغير ذلك, فبهذا تموت هذه المطايا ولا ينتشر خطرها بين الناس.

المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وضع هذه الرسالة من أجل بيان هذه المطايا, وهو كغيره من علماء المسلمين السالكين يبين دائمًا أن صلاح هذه الأمة لا يكون إلا بما صلح به أولها, يعني بكتاب الله وبسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهدي سلف هذه الأمة, فلا جماعات, ولا حزبيات, ولا دعوات لهؤلاء التنويريين أو الخرافيين أو أهل البدعة, فدع عنك هؤلاء والتزم بما جاء به النبي الأمين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يستعملنا في التمكين لهذا الدين, وأن يثبتنا وإياكم على الكتاب والسُنة حتى نلقاه, إنه ولي ذلك والقادر عليه.

آمين آمين آمين.